كلية الآداب

قسم التاريخ

شعبة التاريخ الأوروبي الوسيط

البيزنطيون واللاتين (١٠٩٦-١٢٠٤م): صورة الآخر

رسالة ماجستير فى الآداب

(تخصص التاريخ الأوروبي الوسيط)

إعداد

مى محمد حسن أحمد

تحت إشراف

ا.د/اسحق تاوضروس عبيد
استاذ تاريخ العصور الوسطى
كلية الآداب–جامعة عين شمس

ا.د/عبد العزيز محمد عبد العزيز رمضان
أستاذ تاريخ العصور الوسطى
كلية الآداب–جامعة عين شمس

القاهرة

٢٠١٦م

أهدي رسالتي إلى أستاذيّ أ.د/ اسحق عبيد و أ.د/ عبدالعزيز رمضان
ووالديّ وإخوتي وزوجي وأولادي وكل من ساعدني في كتابتها

بسم الله الرحمن الرحيم

" وفوق كل ذي علمٍ عليم "

صدق الله العظيم

الفهرس

المقدمة.....٧

الفصل الأول

عوامل تشكيل صورة الآخر (١٠٩٦-١٢٠٤م) ١٣- ٢٨

إشكالية الهوية.....١٤

اختلاف الثقافات.....٢١

الدبلوماسية البيزنطية.....٢٤

الفصل الثانى

البيزنطيون في أعيُن اللاتين بين السلب والإيجاب.....٢٩-٧٠

البيزنطيون في أعيُن اللاتين (سلبياً).....٣٠

اليونانيون المخنثون.....٣٢

اليونانيون الخبثاء.....٣٧

اليونانيون المتكبرون.....٤٦

اليونانيون الخونة ناقضو العهود.....٥٢

البيزنطيون في أعيُن اللاتين (إيجابياً).....٥٥

الإعجاب بالقسطنطينية.....٥٥

الإعجاب بالحكام.....٦٢

الفصل الثالث

الهراطقة.....٧١-١٠٢

البيزنطيون واللاتين وأسباب اتهام كل منهما للآخر بالهرطقة.....٧١

الفروق المذهبية بين اللاتين والبيزنطيين.....٧٩

الفصل الرابع

اللاتين فى أعين البيزنطيين.....١٠٣-١٢٤

اللاتين الخونة.....١٠٧

اللاتين الحاقدون..... .....١١٢

اللاتين الهمج.....١١٦

اللاتين الحقراء.....١٢٣

الخاتمة.....١٢٥

قائمة المصادر والمراجع.....١٢٩

المقدمة

شهد القرن الثاني عشر نهضة اقتصادية وفكرية وسياسية كبرى في الغرب الأوروبي، وجرت فيه آخر محاولة لإحياء الإمبراطورية البيزنطية، ومحاولات لإعادة وحدة الإمبراطورية للعالم المسيحي، واشتد فيه الصراع بين البابوية والإمبراطورية؛ فكانت فيه آخر المحاولات لتحقيق وحدة الكنيسة بين روما والقسطنطينية، وعاشت فيه المدن الإيطالية عصرها الذهبي؛ إذ أرست قواعدها التجارية والمالية في عالم البحر المتوسط.

كما شهد هذا القرن الحركة الصليبية، التي كانت مرحلة احتكاك سياسي وعسكري وثقافي واقتصادي مباشر بين الشرق البيزنطي والغرب اللاتيني– خاصة بعد قطيعة ١٠٥٤م– التي كانت بمثابة صراع وتصادم فكري ساهم في تشكيل صورة كل منهم في ذهن اللآخر؛ إذ فاقت القسطنطينية غيرها من عواصم الغرب الأوروبي نظراً لحرص البيزنطيين على جعل حاضرتهم تتفوق على غيرها من الحواضر فى النواحي الدينية، والإدارية، والسياسية... وغيرها[١]؛ لأنهم كانوا يرون أنفسهم الرومان الحقيقيين، وما عداهم مجرد برابرة ***Barbaroi***، ولذلك اتسمت علاقاتهم مع الغرب بشيء من الاعتزاز بالنفس، وذلك جعلهم يطلقون على أنفسهم اسم الرومان، وذلك يعني بالنسبة لهم أنهم ورثة الإمبراطورية الرومانية، وهو ما أدى إلى وجود نوع من العداء لدى الغرب تجاه الشرق البيزنطي، وإلى سوء العلاقات بين البيزنطيين واللاتين فيما بين عامي ٦٧٠م – ١٢٠٤م[٢].

ومن هنا كان اتجاه الباحثة نحو دراسة النظرة المتبادلة بين الشرق البيزنطي والغرب اللاتيني؛ فكان كلاً منهما يرى الآخر من وجهة نظره، ويترتب على ذلك طريقة كلا منهما في تعامله مع الآخر، مما جعل كل منهما يحمل في نفسه صورة للآخر بين السلب والإيجاب، حسب سوء فهمه للآخر أو إحسان الظن به، وهو ما شجّع الطالب على دراسة هذا الموضوع، غير أن المكتبة العربية تخلو من دراسة النظرة السلبية والإيجابية المتبادلة بين الشرق البيزنطي والغرب اللاتيني؛ إذ أن معظم الدراسات التي كُتبت عن العلاقات بين العالمين البيزنطي واللاتيني استفدت منها كثيراً في كتابة بحثي، حيث تناول الأستاذ الدكتور/ عبد العزيز رمضان العلاقات بين العالمين البيزنطي واللاتيني خلال عهد مانويل كومنين[٣]، وقد أفادني كثيراً في فهم طريقة تفكير البيزنطيين وسياستهم في مواجهة اللاتين، وكذلك مقالة أستاذي بعنوان "البيزنطيون بين الهويتين اليونانية والرومانية[٤]، والتي أفادتني في إدراك مدى اعتزاز

---

[1] آنا كومنينا: *الألكسياد*، ترجمة: حسن حبشى، ط١، القاهرة ٢٠٠٤م، ص٢٧؛
George Akropoities, *The history*, trans.by. Ruth Macrides, New York, 2007,p.89.

[2] آنا كومنينا: *الألكسياد*، ص٣٨٨ – ٣٨٩؛ وانظر أيضاً عبد العزيز رمضان : "البيزنطيون بين الهويتين اليونانية والرومانية"، *المؤرخ المصري*، العدد الثامن والعشرون، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ٢٠٠٥، ص ٥٠؛
Nicol,D.M., "the Byzantine view of western Europe", in *Byzantium : Its ecclesiastical history and relation with the west*, Variorum, london,1972, p.317.

[3] عبد العزيز رمضان: *بيزنطة والحروب الصليبية(١٠٨١– ١٢٠٤م)*، القاهرة ٢٠٠٨م.

[4] عبد العزيز رمضان: "البيزنطيون بين الهويتين اليونانية والرومانية".

البيزنطيين بهويتهم المزدوجة، في محور صراعهم الدائم مع اللاتين حول من يحمل الهوية الرومانية، وبالتالي من الأحق بسيادة العالم.

كذلك كانت دراسة الأستاذ الدكتور/ إسحاق عبيد معيناً مهماً في كتابة بحثى، وقد تناول فيها روما وبيزنطة من قطيعة فوشيوس حتى الغزو اللاتينى لمدينة قسطنطين ٨٦٩- ١٢٠٤م[١]، التي أفادتني كثيراً في فهم الأحداث التي كانت تدور بين البيزنطيين واللاتين في تلك الفترة المهمة في العصور الوسطى.

كذلك كانت دراسة الأستاذ الدكتور/ طارق منصور مرجعاً مهماً في كتابة بحثى، وقد تناول فيها بيزنطة مدينة الحضارة والنظم[٢]، التي أفادتني كثيرا فى توضيح آراء المؤرخين الصليبيين وإنبهارهم بمدينة القسطنطينية.

كذلك استعنت بالكتابات الأجنبية مثل رسالة الدكتوراة للباحث أرباجي[٣] الذي تناول فيها صورة بيزنطة في أعين اللاتين ٨٠٠-١٢٠٤م ، ورسالة الدكتوراة الخاصة بالباحث مارك كرير[٤] باللغة الفرنسية، وقد تناول فيها صورة البيزنطيين في الملاحم الصليبية: المراسم البيزنطية فى تصورات اللاتين وردود أفعالهم تجاهها منذ ١٠٩٦ – ١٢٠٤م.

وقد قسمت هذا البحث إلى أربعة فصول تسبقهم دراسة لأهم مصادر البحث، وتعقبهم الخاتمة وقائمة المصادر والمراجع، ويدرس الفصل الأول " عوامل تشكيل صورة الآخر (١٠٩٦-١٢٠٤م) " ويتناول إشكالية الهوية بين البيزنطيين واللاتين، واختلاف الثقافات بينهما، والدبلوماسية البيزنطية في نظر اللاتين. أما الفصل الثانى وعنوانه "البيزنطيون في أعين اللاتين بين السلب والإيجاب" فيتناول الصورة السلبية والإيجابية للبيزنطيين في الكتابات اللاتينية، إذ يصف اللاتين البيزنطيين فى كتاباتهم باليونانيين المخنثين، واليونانيين الخبثاء، واليونانيين المتكبرين، واليونانيين الخونة ناقضي العهود، ، أما الشق الثاني من الفصل يتناول "الصورة الإيجابية للبيزنطيين في الكتابات اللاتينية"، ويدرس أسباب إعجاب اللاتين بالقسطنطينية وبالحكام. وكان الفصل الثالث بعنوان " الهراطقة " والذي يدرس الاختلافات المذهبية بين البيزنطيين واللاتين وأسباب اتهام كل منهما للآخر بالهرطقة. والفصل الرابع بعنوان "اللاتين فى نظر البيزنطيين" ويتناول الصورة السلبية للاتين في الكتابات البيزنطية وقد وصفهم البيزنطيون باللاتين الخونة، واللاتين الحاقدين، اللاتين الهمج، اللاتين الحقراء.

---

[1] اسحق عبيد: *روما وبيزنطة من قطيعة فوشيوس حتى الغزو اللاتينى لمدينة قسطنطين ٨٦٩- ١٢٠٤م*، القاهرة ١٩٧٠م.

[2] طارق منصور: *بيزنطة مدينة الحضارة والنظم (دراسات وبحوث)*، القاهرة، ٢٠١٥م.

[3] Arbagi, M.G, *Byzantium in Latin eyes: 800 -1204*, PHD thesis, (Rutgers-the state university,1969).

[4] Marc Carrier, *L`image du Grec Selon les Chroniqueurs des Croisades: perceptions et reactions face au Ceremonial Byzantin 1096 a`1204*, PHD thesis, (Universite` de Sherbrooke, 2000).

أما عن مصادر الدراسة؛ فقد تناولت المصادر البيزنطية المواجهة الحضارية والسياسية والدينية والعسكرية أحياناً، فنجد آنا كومنينا **Anna Comnena** (١٠٨٣ – ١١٤٨م) ابنة الإمبراطور البيزنطي ألكسيوس كومنين **Alexios Comnen** (١٠٨١– ١١١٨م)، والتى عاصرت الحملة الصليبية الأولى وكان عمرها أربعة عشر عاماً وقت وصول الصليبيين إلى القسطنطينية، وعندما تعدت الخمسين من عمرها كتبت مؤلفها عن عصر أبيها في عام ١١١٨م بعد وفاته، وهو الذي يعرف بالألكسياد **Alexiad**، والذي أعطى صورة حية عن سلوك وانطباعات اللاتين فى القسطنطينية في فترة ما بين ١٠٦٨م و ١١١٨م من وجهة النظر البيزنطية[١].

كذلك تناول كيناموس **John Kinnamos** (١١١٨– ١١٨٠م)الفترة التى أعقبت الحملة الأولى حتى الحملة الصليبية الثانية فى عصر الإمبراطورين يوحنا ومانويل كومنين، فهو يكمل ما انتهت إليه الأميرة آنا كومنينا حتى وفاة الإمبراطور مانويل كومنين، إذ ولد كيناموس بعد وفاة الإمبراطور يوحنا كومنين الثاني، والتحق فى مرحلة طفولته بهيئة سكرتارية الإمبراطور مانويل، حيث ذكر أنه في مرحلة صباه صاحب الإمبراطور مانويل كومنين فى العديد من الحملات[٢]، وكان شاهد عيان على العديد من المعارك مثل حملة مانويل على جنوب إيطاليا في عام ١١٥٥م[٣]، وقد كان يُكن الولاء للإمبراطور، ومجد مؤلفه الإمبراطورين يوحنا ومانويل؛ إذ كان متعصباً لبني جلدته "الإغريق"؛ وامتلأ كتابه أيضاً بالنقد اللاذع للاتين، الأمر الذى جعل ألكسيوس الثانى – ابن الإمبراطور مانويل كومنين – يطرده من البلاط الإمبراطورى، فكتب لنا مؤلفه نتيجة فراغه بعد وفاة الإمبراطور مانويل كومنين[٤]، وهو يعدُّ مصدراً رئيسياً لتاريخ بيزنطة وعلاقاتها بالقوى الإيطالية واللاتين في الفترة التي عاصرها ذلك المؤرخ (١١١٨ – ١١٨٠م) .

بيد أن نيقتاس الخونياتي **Niketas Choniates** جاء ليوجه انتقاداته اللاذعة للإمبراطورين يوحنا ومانويل كومنين **Manuel Comnen**، حيث اتهمهما بأنهما من أهم أسباب سقوط القسطنطينية في عام ١٢٠٤م، رغم كتابته عنهما باختصار شديد، إذ كان مستقلاً فى كتاباته غير متأثر بالسلطة الحاكمة، وكان مؤرخا ناقداً لعصره، وقد ولد في عام ١١٥٥م ببلدة خوناي على الحدود البيزنطية السلجوقية، وقد أرسله والده إلى القسطنطينية وهو فى التاسعة من عمره ليتعلم النحو والخطابة والشعر والقانون، ثم عمل سكرتيراً للامبراطور مانويل كومنين، وتولى تسجيل القرارات الإمبراطورية، حتى أصبح عضوا في مجلس الشيوخ البيزنطي، وعمل قاضياً ثم أصبح كبير كتاب المراسيم الإمبراطورية، ثم محافظاً لإقليم فليوبوليس ١١٨٩م، إلى أن عاد إلى القسطنطينية حتى سقوطها عام ١٢٠٤م[٥]، ويعد كتابه من المصادر الأساسية للحملة الصليبية الرابعة ١٢٠٤م كشاهد عيان عليها؛ إذ

---

[1] آنا كومنينا: *الألكسياد*، ص١– ٢٢.

[2] Kinnamos,J., *Deeds of John and Manuel Comnenus*, trans. Charles, M., Brand, New York, 1976, p.14

[3] Kinnamos, pp. 106 -130.

[4] Kinnamos, p.13.

[5] Niketas Choniates, *O city of Byzantium*, trans.by. Harry J. Magoulias, Patroit, 1984, pp. X-XII.

ذاق مرارة سقوطها، كذلك يعرض كتابه الوقائع المتعلقة بعلاقة بيزنطة بالقوى الإيطالية في فترة (١١٨٠- ١٢٠٤م) من خلال وجهة النظر البيزنطية.

وقد اكتسبت المصادر اللاتينية أهمية خاصة لأن الحروب الصليبية أنتجت من اللاتين مؤرخين وشهود عيان على أحداثها؛ فنجد فوشيه الشارتري **Fulcher of Chartres** (١٠٥٩- ١١٢٧م) الذى وُلد بمدينة شارتر بفرنسا عام ١٠٥٩م، كان ممن حضروا مجمع كليرمون، وشارك فى الحملة الصليبية الأولى، وكان قسيساً خاصاً لستيفن بلوا، ثم صار قسيساً لبلدوين البويوني، وذهب معه إلى الرها، وقد كتب تفاصيل دقيقة جداً عن الحملة الصليبية الأولى ومراحلها فى كتابه "تاريخ الحملة إلى القدس"[١] .

كذلك جاء المؤرخ المجهول من المصادر الهامة عن علاقة الصليبيين بالبيزنطيين خلال الحملة الصليبية الأولى؛ إذ كان من أتباع بوهمند النورماني؛ فأعطى تفاصيل الحملة الصليبية الأولى كشاهد عيان عليها فى كتابه "أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس"، والتي عكست وجهة نظر سيده بوهمند بالأحداث المذكورة في كتابه[٢] .

وجاء وليم الصوري **William of Tyre** (١١٣٠- ١١٨٥م) الذى كان سليل المستعمرين، وولد فى القدس لأبوين فرنسيين، ثم أصبح قسيساً بمدينة صور ليعتبر أكبر مؤرخي الحروب الصليبية على الرغم من أنه عاش فى القرن الثانى عشر الميلادي[٣].

وقد جاء أودو الدويللي **Odo de Deuil** الذي كان من مقاطعة دويل بفرنسا، وكان راهبا في دير القديس دينيس، وقد رافق الملك لويس السابع فى الحملة الصليبية الثانية على الشرق، وروى هذه الأحداث في كتابه "*رحلة لويس السابع الى الشرق*"[٤]، كشاهد عيان على حملة لويس السابع إلى الشرق، وعلاقته بالإمبراطور مانويل كومنين، وشهد توتر العلاقات بين بيزنطة واللاتين، فكان معادياً لكل ما هو بيزنطي، واتهم بيزنطة بخيانة الحروب الصليبية، وهو يعتبر مصدراً مهماً لأثر الحملة الصليبية الثانية على علاقة بيزنطة والقوى الإيطالية.

---

[1] Fulcher of Chartres, *Historia Hierosolymitana- A history of the expedition to Jerushalem 1095-1127* (trans. by: Frances Rita Rayan), Tenn.,1969.

وسوف يعتمد الباحث على الترجمة العربية فوشيه الشارترى: *تاريخ الحملة إلى القدس (١٠٩٥- ١١٢٧)*، ترجمة:زياد العسلى، ط١، بيروت،١٩٩٠.

[2] Anonymi, *Gesta Francorum et Aliorum Hierosolymitanorum* (ed.by Rosalind Hill, as the Deeds of the France and the other pligrims to Jerusalem, London, 1962.

وسوف يعتمد الباحث على الترجمة العربية المؤرخ المجهول: *أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس*، ترجمة حسن حبشى، القاهرة، ١٩٩٨م.

[3] وليم الصورى: *الحروب الصليبية*، ترجمة: حسن حبشى،ج١،٢،٣، القاهرة، ١٩٩٩م.

[4] Odo de Deuil, *De profectione ludovici VII in orientem*, tr. V.G.Berry, New York, 1948.

وسوف يعتمد الباحث على الترجمة العربية اودو الدويلى: *رحلة لويس السابع الى الشرق*، تحقيق وترجمة: سهيل زكار، الموسوعة الشامية، ج٧، دمشق، ١٩٩٥م.

.

كذلك كان أوتو الفريزي **Otto of Freising** (١١١٥ – ١١٥٨م) شقيق الملك الألماني كونراد الثالث **Conrad III**، ووالده ليوبولد الثالث **Leopold III** حاكم النمسا **Austria**، وأمه إبنة الإمبراطور هنري الرابع، والذي كتب عن علاقة بيزنطة بالقوى الإيطالية من وجهة النظر الألمانية، في كتابه "أعمال فريدريك بربروسا"[١]، الذي يعتبر سجلاً حياً عن أعمال فريدريك بربروسا السياسية والعسكرية.

كذلك كان فيلهاردوين**Villehardouin**(١١٦٤– ١٢١٦م) الذي وضع في كتابه[٢] سجلاً حياً لأحداث الحملة الصليبية الرابعة كشاهد عيان عليها، وهو كتاب يسرد الأحداث بأسلوب سهل و شيق، ومصدر هام لعلاقة بيزنطة بالقوى الإيطالية في الفترة التي عاصرها المؤرخ.

وكذلك كان روبرت كلاري **Robert de Clari** شاهد عيان على الحملة الصليبية الرابعة ، وكتب عن تفاصيلها فى كتابه "فتح القسطنطينية على يد اللاتين"، وقد تشابهت روايته مع رواية فيلهاردوين الذى كان شاهد عيان على الحملة الصليبية الرابعة، وقد عبر المؤرخان عن جمال القسطنطينية وغناها، وعن مدى إعجاب اللاتين بها[٣].

وهكذا كانت الحروب الصليبية من خلق الكنيسة، وكانت الأغراض الدنيوية قد اجتذبت جميع الدهماء إليها، فما حدث لتلك الشعوب من المجاعات والأوبئة دفع الناس إلى الهجرة من الغرب إلى الشرق ابتغاء الخروج من الضيق، وأملاً فى الخلاص منه[٤].

وفي النهاية لا يسعني إلا الإقرار بأن سيري على درب العلم الشاق والمرهق لم يكن ليتأتى لي بغير مساعدة أستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور/ إسحق عبيد الذي تتلمذت على يديه وتعلمت منه الكثير منذ كنت طالبة في المرحلة التمهيدية، وأشكره على قبوله الإشراف على رسالتي المتواضعة. كما أتوجه بالشكر لأستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور/ عبد العزيز رمضان الذي تحمل مشاق كثيرة في مساعدتي على كتابة بحثي، جزاه الله عني خير الجزاء وتقبل مواقفه النبيلة معي في ميزان حسناته. وكذلك أشكر الأستاذ الدكتور/ طارق منصور أستاذ تاريخ العصور الوسطى بآداب عين شمس، والأستاذ الدكتور/ محمد عثمان عبد الجليل على قبول سيادتهما مناقشة رسالتي وتجشمهما عناء قراءتها وتصويبها. كما أتوجه بالشكر لأساتذتى الأستاذ الدكتور/ حاتم الطحاوي أستاذ تاريخ العصور الوسطى بآداب الزقازيق، والأستاذ الدكتور/ الأمين أبو سعده أستاذ تاريخ العصور الوسطى بآداب طنطا، حيث تتلمذت على يديهما في المرحلة التمهيدية للماجستير، وغمراني بعطفهما ومساعدتهما بتوفير الكثير من المراجع والمصادر الخاصة بالبحث، أمد الله في أعمارهم جميعاً ومنحهم الصحة والعافية.

---

[1]Otto of Freising &Rahewin, *The deeds of Frederick Barbarossa*, trans.by Charles Christopher Mierow, Milwakee,WI, 1966.

[2]Villehardouin: *Chronicle of the Fourth crusade and the conquest of Constantinople, Memories of the crusades*, trans.by sir Frank Marzials, in: Everyman`s Library, ed. By Ernest Rhys, London, 1921.

[3] روبرت كلارى: *فتح القسطنطينية*، ترجمة حسن حبشى، القاهرة، ١٩٦٤م.

[4] أرنست باركر: *الحروب الصليبية*، ترجمة :السيد الباز العرينى، ط٢، بيروت، ١٩٦٧م، ص١٨.

كما أتقدم بخالص الشكر لوالدىَّ وإخوتي، وزوجي الذين قدموا لي الكثير من المساعدات لتقديم بحثي، جزاكم الله عني خير الجزاء في الدنيا والآخرة.

وتلك هي محاولتي البسيطة في تقديم بحثي فإن أصبت فمن الله، وإن أخطأت فمن نفسي

الفصل الأول

عوامل تشكيل صورة الآخر (١٠٩٦-١٢٠٤م)

- إشكالية الهوية
- اختلاف الثقافات
- الدبلوماسية البيزنطية

شهدت العلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطي مزيجاً من العداء والمودة والدبلوماسية، وتبادل المصالح، وتبادل الثقافات عن طريق الزيارات أو الزيجات أو الهدايا، والتي نشأ عنها نوع من التنافس بينهما حول امتلاك السلطة العالمية والدنيوية[١]، وقد أشارت العديد من المصادر اللاتينية والبيزنطية إلى التغيرات الجذرية التى مرت بها تلك العلاقات، خصوصاً فى الفترة ما بين ١٠٢٥-١٢٠٤م.

ففي الغرب كانت البابوية تحلم ببناء إمبراطورية تحكم العالمين الشرقي والغربي، وحاولت تحقيق ذلك بكل الوسائل، وفي المقابل كانت بيزنطة – أيضاً – تحلم بسيادة وحكم الإمبراطورية الرومانية الجديدة، رغم أنها كانت تسير بخطى سريعة نحو الهاوية، وكانت الأخطار الداخلية والخارجية تحاصرها من كل جانب، غير أن اللاتين وجدوها فريستهم التي ينبغي عليهم اصطيادها[٢]، وكل هذه الآمال جعلت كل طرف ينظر إلى الآخر برؤية خاصة تراوحت ما بين السلب والإيجاب، **وهو ما يتضح من خلال العوامل الآتية:**

١) إشكالية الهوية:

كان الصراع على الهوية بين اللاتين والبيزنطيين نقطة مهمة فى تأجج نار المنافسة حول مَن الأسمى عرقياً، ومن هم ورثة الرومان القدماء، ومن هم الرومان الجدد، ومن الأحق بحكم العالم المسيحي، ومَن الأحق بلقب إمبراطور الرومان؟!!، ونتج عن هذه التساؤلات صراع مرير بينهما ظهرت آثاره في طريقة تعامل كل منهما مع الآخر؛ فقد قام البيزنطيون بوضع أسس للمراسم والتقاليد الدبلوماسية بناءً على اعتقاد أنهم الأفضل، والأحق بحكم العالم الروماني الجديد، واهتموا كثيرا ببناء وتطوير القسطنطينية لتكون رمزاً لهم، ولإبراز عظمة هويتهم، ولإثبات أنهم الورثة الحقيقيون للرومان، وفي مقابل ذلك وضعوا أسساً لمراسم استقبال السفراء، وأيضاً الدبلوماسية لكي يستخدموها مع أعدائهم، ومع الدول المجاورة لهم، ووضعوا التقاليد الخاصة بها، ولقبوا حاكمهم بـ "إمبراطور الرومان"[٣]، وكان كل هذا عبارة عن خطة رُسمت لإظهار عظمة الإمبراطور، وإبراز كبرياء البيزنطيين، وإثبات أنهم أسياد العالم، وفى المقابل كانت الفروسية والشرف أهم أركان الحياة عند اللاتين، وقد استغل باباوات روما هذا الركن لتحقيق حلمهم بـ(حكم الشرق والغرب)، وعكفوا على وضع خططهم لغزو الشرق، ووجدوا فى الحروب الصليبية الفرصة لتحقيق أهدافهم، وإثبات أنهم هم الورثة الحقيقيون للرومان[٤]، والأحق بفرض سيطرتهم على العالم ، وقد اختاروا بيت المقدس لكي تكون بيزنطة بين فكى الأسد ، وقوبلت فكرتهم بسرعة استجابة اللاتين؛ لأنهم وجدوها فرصتهم لتحقيق أهدافهم فى السيادة على العالمين الشرقي

---

[1] Akropoities, *The history*, p.89.

[2] J.M.,Hussey," The Byzantine empire in the Eleventh century: Some diference interpretations", in:*Transactions of the Royal Historical Society*,Vol. 32 (1950), pp. 71-85

[3] آنا كومنينا: *الألكسياد*، ص٢٧.

Akropoities, *The history*, p.89.

[4] Arbagi, *Byzantium in Latin eyes*, p.4.

والغربي، والخروج من مأزق الحياة المريرة التى كانوا يعيشونها، فكلا العالمين يريد إثبات أنه وريث الإمبراطورية الرومانية الجديدة، كأداه سياسية لإثبات تفوقه.

كذلك أطلق البيزنطيون على أنفسهم لقب الرومان ليميزوا أنفسهم عن اللاتين، ولمواجهة ادعاءات حكام الغرب بأنهم ورثة الإمبراطورية الرومانية؛ نظرا لأنهم يرون فى أنفسهم الرومان الذين بنوا الإمبراطورية الرومانية الجديدة، وأنهم الأمة الأكبر المستقلة بكيانها عن بقية الأمم الأخرى[1]، ونتج عن تفاخرهم هذا إحساسهم المتميز بأنهم سكان الإمبراطورية الرومانية المسيحية[2]، لذلك فهي أحق أن تتبعها بقية الأمم لكي تسترجع سيادة الإمبراطورية الرومانية تحت الراية البيزنطية الرومانية.

كما حاول الكتاب البيزنطيون إبراز تلك النقطة فى كتاباتهم؛ وذلك عن طريق المسميات التى أطلقوها على أنفسهم لكي يميزوها عن الأجناس الأخرى؛ إذ نجد فى المصادر مصطلحات متعددة منها لفظ "روماني Ρωμαιος "[3] الذى استخدمه البيزنطيون للدلالة على هويتهم السياسية العظمى، ورمزاً لديانتهم المسيحية، واعتبروه فخراً لأي بيزنطي، ومصطلح "هلليني **Ελλην**" للإشارة إلى الطبقة الأرستقراطية التي ظلت على تعلقها بالديانة الوثنية فى الفترة المبكرة من التاريخ البيزنطي، واستُخدم – فيما بعد – للإشارة إلى غير المسيحيين باعتبارهم وثنيين، ورغم ذلك فقد لقب البيزنطيون أنفسهم بهذا اللقب ليؤكدوا على عدم تخليهم عن هويتهم اليونانية، وكان استخدامهم لهذين المسميين لوعيهم بهويتهم المزدوجة، وإدراكهم لأهمية كل من اللفظين فى مواجهة الآخر[4].

وهكذا كانت تلك المسميات التى أطلقها البيزنطيون على أنفسهم تنم عن ثقتهم فى سمو هويتهم، وتميزها عن باقي الأجناس، وكان شعارهم "لكي تكون رومانيا يجب ألا تنتمى إلى أي شعب"؛ وذلك لإحساسهم بالتميز عن جميع الأجناس لا سيما الغرب اللاتيني؛ لأنهم اعتبروا الغرب الأوروبى ليس إلا جزءاً من أملاكهم الإمبراطورية، وأن العالم يتكون من إمبراطورية واحدة، وكنيسة واحدة يحكمها إمبراطور واحد، ونتج عن ذلك تجاهل الكتاب البيزنطيين لشئون الغرب عدة قرون مما أدى إلى حدوث فجوة كبيرة بينهم[5] .

كذلك أطلق البيزنطيون العديد من المصطلحات على العناصر غير البيزنطية ، ومنها مصطلح "الأجناس **εθνικοι**" الذي أطلقوه على اللاتين والعرب والأتراك والسلاف وغيرهم، وكذلك مصطلح البرابرة **Βαρβαροι**" عليهم؛ وذلك لعدم درايتهم بلغاتهم وشرائعهم وقوانينهم وآدابهم، فمثلاً أشارت آنا كومنينا للاتين بهذا اللقب احتقاراً لهم[6]، وقد كان البيزنطيون يستخدمون هذا اللفظ فى القدم لوصف "الوثنيين والكفرة والمتخلفين عن المسيحية المضللين"[7]، وكذلك أطلقوا عليهم لقب "سكيزى

---

[1] Arbagi, *Byzantium in Latin eyes*, pp.4 - 5.

[2] Nicol, "Byzantine view of western Europe", p.316.

[3] Nicol, "Byzantine view of western Europe", p.317.

[4] عبد العزيز رمضان : "البيزنطيون بين الهويتين اليونانية والرومانية"، ص٤٦ – ٤٨.

[5] Nicol, "Byzantine view of Western Europe", p. 317.

[6] آنا كومنينا: *الألكسياد*، ص٣٨٨ – ٣٨٩.

[7] Nicol, "Byzantine view of Western Europe", p. 317.